

أبو الحسن علي بن الحسين النذوي

كلية  
عن أدب التراجم  
و الحديث عن الكتب

الناشر :

كلية اللغة العربية و آدابها  
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

---



مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ - (الهند)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .  
و بعد : فان كثيراً من الكتاب و الأدباء - فضلاً عن  
الشادين في اللغات و المتطفلين على الآداب - يعتبرون موضوع  
التعريف برجل من ذوى الشأن و الخطر و ترجمة حياته ووصفه  
من أسهل الأغراض الأدبية، و المواد الكتابية ، فيكيلون لمن  
يترجمون له أو يعرفون به ألقاباً ونعوتاً بسخطه ، و يكون أكثرها  
كلمات مدح وإطراء مشتركة، يمكن أن يقال عن كل عالم وأديب  
أو عظيم وجليل ، أو صالح وتقى ، أو حاكم حكومة ، أو قائد  
جيش ، لا تفيد تحديد الشخصية وتعينها ، ولا تصوير القسمات  
و المخايل ، ولا التجاعيد التى يمتاز بها وجه عن وجه، وجسم عن  
جسم، واللغة العربية من أغنى اللغات فى كلمات الوصف والمدح،  
و الحلية و الزينة ، ويكفى الكاتب أن يعتمد فى ذلك على كتاب  
الالفاظ الكتابية ، لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني ( المتوفى

١٣٢٠ - ١٩٣٣ م ) يأخذ منه ما يشاء من كلمات الوصف والمدح فيجود بها على صاحبه ، أو يرجع إلى كتب التراجم و السير و المكتبة العربية من أغنى مكتبات العالم فيها - فيختار منها جملا وكلمات ويصف بها المترجم له أو الممدوح و من يكتب عنه ، فيتشابه الرجال و يتماثلون و لا يخرج منها القارى بمعرفة شخصية دقيقة معينة ، و لا يشعر بالحياة و الحرارة ، و لا بالركة و النعومة ، و لا بالمرورة و الحركية ، و لا بالعواطف و المشاعر ، و لا بالأحاسيس و الانعكاسات و ردود الفعل ، التى تمتاز بها الأجسام الحية عن القائل والنصب ، و الصور والدمى ، ويمتاز بها الانسان عن الحيوان فضلا عن الجمادات و النباتات .

و لكن وصف شخصية أو ترجمة إنسان ليست من السهولة و العموم بالدرجة التى يتصورها كثير من الناس ، فان ذلك يحتاج إلى عدة مؤهلات ، أولاها : المعرفة الشخصية الواعية الناقدة إذا كانت عن طريق المعاشرة والصحة فهى من أفضل المؤهلات و أقواها ، و إلا فن طريق الدراسة الآمينة و تتبع الاخبار و أن تقوم بينهما صلة من الصلات التى تحت على تتبع الاخبار و التعرف على الخصائص ، ويليهما : الاقتدار على البيان و التعبير و تملك ثروة لغوية و كلمات مميزة فاصلة ، ثم يأتى دور الدقة و الأمانة و الشعور بالمسئولية ، و القدرة على تفصيل اللباس على

قائمة المترجم له و المعروف به ، فلا يكسوه لباساً سابقاً فضفاضاً  
يدو فيه قرماً خفياً ، ويتم هذا اللباس عن أنه لباس لغير هذا  
الانسان و لقائمة أطول من قائمته ، و للرجال قامات وقيم ، وقد  
تكون الجناية على القيمة أشنع من الجناية على القائمة .

ومهم كذلك أن يتوفر عند الكتابة في ترجمة حياة أو  
تعريف بشخصية ، دافع نبيل و رغبة ملحة تنبع من القلب ،  
من تجاوب مع فكرة ، أو استجابة لنداء الضمير ، أو دفاع عن  
كرامة مهضومة ، وحق سليب ، أو رد لاعتبار ، أو وفاء بفضل ،  
أو إعجاب بجمال أو كمال ، فإن الكتابة إذا تجمدت عن هذه  
العوامل كلها كانت أشبه برسم خشيب جامد أو وشى وتطرز لمجرد  
الريح المادى و الترض التجارى ، و يكون الكاتب أو الشاعر  
في ذلك كالمطرب المحترف أو النائحة المأجورة .

ويجب أن يعرف أن للكلمات درجة حرارة وبرودة (Temperature)  
فلا توضع كلمة ذات حرارة متصاعدة مكان كلمة ذات حرارة  
منخفضة ، فضلاً عن أن توضع كلمة ذات حرارة مكان كلمة ذات  
برودة ، و لا يسخى بكلمة تعطى صورة هائلة من العظمة  
و الكمال ، أو النبوغ و الذكاء ، أو الخلق الحسن ، و السيرة  
العالية ، أو العلم الغزير و الذكاء الأملئ ، لشخصية لا تستحق إلا  
كلمات فيها التوسط والاقتصاد ، ثم يضمه في طبقته ويحدد اختصاصه

وتتميز في فن من الفنون أو موضوع من الموضوعات .

والمشكلة حين يكون المترجم جامعاً بين أصناف العلم و ضروب الكمال و أشات الفضائل ، كما كان الشأن مع العلماء الأقدمين بصفة عامة ، فلا يقدر على تحديد اختصاصه إلا من اطلع على مؤلفاته جميعاً ، واطلع على آراء معاصريه فيه وحكمهم عليه .

وبهذه الخصيصة امتاز العلامة شمس الدين أحمد بن خلكان (٥٦٨١م) في كتابه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» من بين مؤلفي كتب التراجم و السير ، فإنه إذا وصف أحداً من المترجم لهم بقوله : النحوى ، أو الفقيه ، أو الأديب ، أو المفسر ، أو اللغوى ، أو الواعظ ، فليس من المسور زحزحته عن مكانه الرئيسى و الاختصاصى ، ووضعه في طبقة أخرى ، و هذا قلما تيسر لمؤلفي كتب التراجم و السير ، ولا يقدر عليه إلا صاحب سليقة في فن التراجم ، و من أعطاه الله الدقة في الحكم ، ورقة الشعور ، وحسن الذوق ، و الاطلاع الواسع الدقيق .

لقد أراد الله أن أنشأ في بيته كانت هوايتها التاريخ وكتابة التراجم و السير ، و أن أولد في أسرة كان فيها مؤرخون و مؤلفون ، و كان أكثر اشتغالهم بالتأليف في تراجم الرجال ، و طبقات الشعراء و الأدباء ، و سير العظماء ، من المصلحين و العلماء و الملوك والأمراء ، فكان جدى العلامة السيد نضر الدين

الحسنى (م ١٣٣٦هـ) من السابقين إلى فكرة وضع موسوعة باللغة الفارسية حين لم يخطر هذا ببال كثير من العلماء و المؤلفين في شبه القارة الهندية ، وذلك قبل ثمانين سنة أو أكثر حين لم تعرف الموسوعات و دوائر المعارف في الهند حتى في اللغات الأجنبية ، فوضع كتابه «مهرجاتاب» (١) في مجلدين ضخمين يحتوى المجلد الأول بخط مؤلفه على ثلاث مائة وألف (١٣٠٠) صفحة بالقطع الكبير ، و أكثرها تراجم الطبقات للصوفية و العلماء و الشعراء ، ووفق و الذى العلامة السيد عبدالحى الحسنى ( م ١٣٤١هـ ) لوضع أكبر كتاب يعرف في شبه القارة الهندية في تراجم الرجال الذين نبغوا في الهند من القرن الاسلامى الأول إلى سنة وفاة المؤلف ١٣٤١هـ ( ١٩٢٣ م ) يخطى المساحة الزمنية من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجرى ، و المساحة المكانية من بحر خيبر في الشمال الغربى من الهند إلى خليج بنغال في الشرق ، و من قتل كشمير إلى «مالابار» و «كالى كوت» ، في الجنوب ، و الأعيان من كل طبقة على اختلاف مذاهبهم الفقهية و اتجاهاتهم العلمية ، و اختصاصاتهم الفنية ، فجاء في ثمانية مجلدات كبار يحتوى على أكثر من أربعة آلاف وخمس مائة ( ٤٥٠٠ ) من

(١) مئنه : الخمس المئنة للعالم .

التراجم (١) ، و هو أشبه في أسلوب الكتاب ومنهجه وتعبيراته  
 بابن خلكان في الدقة و الأمانة ، و تحرى الصدق و القياسات  
 اللائقة و الدقيقة في تخير الأوصاف و النعوت ، هذا إلى كتاب  
 آخر اسمه « كل رعنا » (٢) في طبقات شعراء الهند في « أردو » ،  
 اعتبر من المراجع الرئيسية في تاريخ الشعراء و نقصد الشعر و قرر  
 تدرسه في عدة جامعات في القارة الهندية ، يضاف إليهما كتابه  
 الثالث : « ياد أيام » (٣) ، في تاريخ ولاية كجرات و علمائها  
 و عظمائها و حكوماتها ، و هو النموذج العالي لتاريخ بلاد  
 و ولايات ، يجب أن يحتذى و يتلذذ ، و قد قرأت هذه الكتب  
 في سن مبكرة ، لأنها كتب كانت في متناول اليد ، و كانت  
 الدوافع إلى قراءتها قوية و طبعية ، حفظت منها الكثير ، و قلدت  
 أساليب المؤلف حين بدأت أشدو في اللغة و الأدب ، و أمسكت  
 القلم للكتابة و الانشاء .

لذلك كله كان أدب التراجم و السير من أحب الآداب  
 و أنفها و أسهلها لي ، و كانت هوايتي و شغلي الشاغل في سن قلبي  
 يتسیر فيها الكتابة لكثير من هواة الأدب و الانشاء ، فبدأت  
 أولف في تراجم الرجال و سير النابهين من العلماء و المصلحين

(١) صدرت طبعان للكتاب من دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد « الهند » .

(٢) معناه بالبريه : « الوردة الرشيقة » ، صدر أربع طبعات للكتاب من المجمع العلمي  
 للكثير « دار المصنفين » في أعظم كره « الهند » .

(٣) معناه : « ذكرى الأيام الماحية » و صدرت له طبعان .



بالعربية قليلا ، وبالآردية أكثر (١) وتكون من هذه التراجم والسير  
مكتبة لا بأس بها في كتب التراجم وسير المصلحين والمحدثين  
في الاسلام ، والدعاة والمربين الذين نفع الله بهم الأمة ونهضوا  
بها في مختلف الأدوار والأمصار .

وكذلك تقديم كتاب لمؤلف معاصر أو عالم كبير ، أو صديق  
عزيز ، ليس عملا تقليدياً يقوم به الكاتب مجاملة أو تحقيقاً لرغبة  
المؤلف أو الناشر أو إرضائه ، إنه شهادة و تزكية ، ولهما  
أحكامهما وآدابهما ومسئولتهما ، وقد يتحول من شهادة بالحق  
و تقوم الكتاب تقويماً علياً ، ويان مكاتته في ما كتب وألف  
في موضوعه ، ومدى مجهود المؤلف في إخراج هذا الكتاب  
ونجاحه في عمله التاليفي أو الحقيقي ، إلى سمرة تجارية أو قصيدة  
مدح و إطراء من شاعر من شعراء المدح ، فيفقد قيمته العلمية  
و الأدبية ويتجرد من الحياة و الروح ، و لا بد في التقديم من  
زيادة معلومات و إلقاء أضواء على موضوع الكتاب ومقاصده ،  
و على حياة المؤلف و مكاتبه بين العلماء المعاصرين في عصره  
و عصره ، و على تكوينه العقلي و نشوته العلمي و الدوافع التي  
دفعت إلى التاليف في هذا الموضوع رغم وجود مكتبة واسعة في

(١) صدرت للمؤلف مجموعة مقالات في أردن عن المعاصرين العكبار الراحين اسمها

« المصاحح القديمة » عدد التراجم فيها ٤٢ - و هي في جرتين .

موضوعه أو مجموعة من الكتب التي ألقت في هذا الموضوع ،  
و لا يكون التقديم مجموع كلمات تقرّض ومدح يمكن أن يحلّ به  
جيد أى كتاب إذا غير اسمه و اسم مؤلفه .

ولا بد من أن تكون بين المقدم للكتاب وبين موضوعه صلة  
علية أو ذوقية أو دراسة وافية للموضوع وما ألف فيه ، وارتباط  
وثيق كذلك بينه و بين المؤلف ، يمكنه من الاطلاع على تركيبه  
العقلى و العلمى و العاطفى ، إذا كان الكتاب فى موضوع علمى  
أو أدبى أو فكرى أو دعوى . و على مدى إخلاصه لموضوعه  
و اختصاصه و تفانيه فيه و رسوخه فى العلم و الدين و أخذهما  
من أصحاب الاختصاص فيه المعترف بفضلهم ، إذا كان الكتاب  
فى موضوع دينى كال تفسير و الحديث و الفقه و ما إلى ذلك .  
و يجب أن يكون هذا التقديم عن اندفاع وتجاوب وتحقيق لرغبة  
نشأت فى نفس المقدم بعد قراءة هذا الكتاب تحمسه على كتابة هذا  
التقديم و تحبب إليه المهمة وتيسرها له بحيث إذا امتنع عنها اعتبر  
نفسه مقصراً فى أداء حق و إبداء مشاعر و انطباعات ، حاجة فى  
نفس يعقوب ما قضاهما ، و ذلك هو التقديم الطبعى المنصف  
الذى له أثره وفائدته .

ووقع بصرى أخيراً على مقالات بالعريسة كتبها فى إبداء  
مشاعرى وانطباعاتى عن شخصيات عاشرتها وعشت معها ، أو عرفتها

عن كتب لا عن كتب ، و عن خبرة و تجربة ، لا عن سماع  
و حكاية ، و قد كتبها في مناسبات مختلفة غالباً على إثر وفاتها ،  
لبعض كبار العلماء أو المؤلفين الأصدقاء ، و قد نشر أكثرها في  
مجلة « حضارة الاسلام » ، التي كان يرأس تحريرها فقيد الاسلام  
و العلم الدكتور مصطفى السباعي ، أو مجلة « البعث الاسلامي »  
أو صحيفة « الرائد » ، الصادرتين من ندوة العلماء .

و اطلعت كذلك على سلسلة مقالات لي عنوانها « الكتب  
التي عشت فيها » ، ذكرت فيها الكتب التي كان لها دور  
خاص في تكون ذوقي ، و عقليتي و أسلوب تفكيري ، و رأيت  
أنها إذا جمع بعضها مع بعض كانت مجموعة يتعرف  
بها القراء على تراجم هؤلاء الفضلاء ، و العاملين لرفع  
شأن الاسلام و المسلمين ، و المربين الكبار ، و قادة أكبر  
الحركات الاسلامية في عصرهم ، و يترحمون عليهم و يدعون لهم  
و يتعلمون منهم الكثير من الاخلاص و الاخلاق و علو الهمة ،  
و الاهتمام بالامة ، و الجمع بين الفضائل المشتتة ، و كذلك يطلعون  
على بعض الكتب المهمة المفيدة في موضوعها فيحملهم ذلك على  
مطالعتها و الاستفادة منها ، و يصبح الكتاب حديقة واسعة زاهرة  
ينتقل فيها القارئ من داعية قائد ، إلى عالم مرب ، و من مخلص  
رباني إلى نموذج إنساني عال ، و من مجاهد مناضل إلى مؤلف

ومحقق ، ومن كتاب في الملحمة الاسلامية و غزوات الصحابة  
 وقوتهم ، إلى كتاب في السيرة النبوية ، إلى كتاب في وصف  
 وضع المسلمين الحالي و إثارة الشعور و الغيرة فيهم و الاشادة  
 بماضى المسلمين ، إلى كتاب في سير الربانيين من العلماء و المريدين ،  
 إلى كتاب في سيرة شخصية إسلامية مثالية كسيدنا عمر بن الخطاب  
 رضى الله عنه ، إلى كتب في الأدب الرفيع والشعر الرقيق والتاريخ  
 الزاخر بالمعلومات والعبر ، إلى مقالات ورسائل مثيرة للفكر ومغذية  
 للعلم و حاملة على الدعوة و الكفاح ، و كانت نهاية المطاف  
 دراسة القرآن الكريم دراسة تأمل و اعتبار و تطبيق ، فلا  
 يمل ولا يستم ، ولا يملأ وعاءه من نوع خاص من علم أو أدب  
 أو كفاح أو عمل إسلامي ، أو بحث علمي وتحقيق موضوعي .  
 و إلى القراء هذه المجموعة التي كتبت في أوقات مختلفة  
 و التي قد تطول بينها الفجوة ، و لكن تربطها وحدة ، و هي  
 وحدة الشهادة بالحق ، و أداء الأمانة ، و الوفاء لصاحب الفضل  
 و الحث على الانتفاع و التقليد ، و بالله التوفيق .

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

ندوة العلماء

لكهنؤ ( الهند )

١٢ من ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ

٢٥ من ديسمبر ١٩٨٥ م